

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[284] يقول تعالى: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لِمَ تَؤذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ). هذه الآية لعلها إشارة إلى مخالفت بني إسرائيل وذرائعهم في حياة موسى (عليه السلام)، أو أنسها إشارة إلى قصّة (بيت المقدس) حيث قال بنو إسرائيل لموسى (عليه السلام): (إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا - أَي الْجِبَّارِينَ - فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (1) ولهذا فقد بقوا في وادي (التيه) أربعين سنة، ذاقوا فيها وبال أمرهم لتهاونهم في أمر الجهاد، ولإدعاءاتهم الواهية. ولكن مع الإلتفات إلى الآية (69) من سورة الأحزاب يظهر أن المراد من هذا الإيذاء هو ما كانوا ينسبونه لموسى (عليه السلام) من تهم، كما بيّن ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا). حيث اتّهم (عليه السلام) بقتل أخيه هارون (عليه السلام)، وأخرى - معاذ الله - بالعلاقة مع امرأة فاسقة (وذلك ضمن مخطّط قارون للتهريب من إعطاء الزكاة)، وثالثة بالسحر والجنون، كما أُلصقت به (عليه السلام) عدّة عيوب جسمية أخرى، جاء شرحها في تفسير الآية - أعلاه - من سورة الأحزاب (2). كيف يستسيغ هؤلاء أدعياء الإيمان إلصاق أمثال هذه التّهم بأنبيائهم! إنّ هذه الممارسة تمثّل في الواقع نموذجاً صارخاً للتناقض بين القول والعمل، ممّا حدا بموسى (عليه السلام) إلى مخاطبة أصحابه: لماذا تسيؤون إليّ مع علمكم بأنّي رسول الله إليكم؟ وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الممارسات لم تبق بدون عقاب كما نقرأ ذلك في نهاية الآية حيث، قال تعالى: (فلمّا زاغوا عَنَّا سَفَّاهُ يَمْشُونَ فِي الْأَسْجَادِ يَضْحَكُونَ لَا يَرْجُونَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ سُوءُ ظَنٍّ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ) (سورة الحجر: 24، 25) - قلوبهم واّ لا يهدي القوم _____ 1 - المائدة، الآية 24، 2 - التفسير الأمثل الآية أعلاه من سورة الأحزاب.